**- كتاب ( التحليل النفسي للحكايات الشعبية) لبرونو بتلهايم:**

من أهم الكتب الغربية التي طبقت التحليل النفسي على الحكايات الخرافية كتاب ( التحليل النفسي للحكايات الشعبية) لبرونو بتلهايم، وهو كتاب ترجمه إلى العربية طلال حرب.

أما محور الكتاب فهو الطفل وأما موضوعه فهو التحليل النفسي وأما مادته فهي الحكايات الشعبية؛ ذلك أن العديد من الحكايات الشعبية موجه إلى الأطفال وأغلب أبطالها أطفال يجسدهم دائما الابن الأصغر لذلك أطلق عليها بالفرنسية ( حكايات جدتي) وسماها الأخوان جريم ( حكايات البيوت والأطفال)) [[1]](#footnote-2)(.

وقد أوضح بتلهايم الهدف من كتابه بقوله:« بإيجاز هذا الكتاب يشرح أسباب اعتبار الحكايات الشعبية ذات دور مهم وإيجابي في مساعدة الطفل على إتمام نموه الداخلي الخاص») [[2]](#footnote-3)(. إذ ذهب إلى أن هذه الدراسة « تريد أن توضح أن الحكايات الشعبية تساعد الأطفال على تنظيم المشاكل النفسية وضبطها لنموهم وتكامل شخصيتهم») [[3]](#footnote-4)(.

ولا يتم ذلك – في نظره – إلا عن طريق تنشيط مخيلة الطفل وهو ما عبر عنه بالقسم الأول من كتابه فقد بنى كتابه على قسمين: القسم الأول تحت عنوان ( في فائدة المخيلة) وهو يشتمل على اثنين وعشرين عنصرا والقسم الثاني تحت عنوان ( في مملكة الجن) وهو يشتمل على تسعة عناصر. وقد أجاب بتلهايم عن التساؤل القائل: كيف نفسر النزوع إلى الخيال في الحكاية الشعبية؟ بقوله: إن هذه المسألة ترجع إلى الفكر الإحيائي الذي يتميز به الطفل فهو يميل إلى اعتبار كل شيء حيا وله روح وعقل: ( بنات – جماد- حيوان)) [[4]](#footnote-5)(.

لقد دافع بتلهايم عن رأيه الذي يقول إن الحكايات الشعبية مهمة في تربية الطفل وهي أحسن من القصص الواقعية التي تعد بعيدة عن عالم الطفل الداخلي ومشاكله النفسية لأن الحكاية الشعبية تجيب – في نظره- عن الأسئلة الوجودية للطفل) [[5]](#footnote-6)(.

1- من أنا ؟

2- من أين أتيت ؟

3- كيف خُلق العالم ؟

4- من خلق الإنسان والحيوان ؟

5- ما هو هدف الحياة ؟

فللحكايات الشعبية – في نظره – فائدة تحددها وظيفتها:

1- فبوساطتها يتعرف الطفل على نفسه ويفهمها بشكل أفضل) [[6]](#footnote-7)(.

2- تسهم في تربية الطفل وتوجيهه أخلاقيا وتقويمه سلوكيا) [[7]](#footnote-8)(.

3- تعلّم الطفل النظام خاصة في بيته) [[8]](#footnote-9)(.

4- تعالج الحكاية الشعبية مشاكل الطفل الوجودية) [[9]](#footnote-10)(.قال بلتهايم:« من الصفات الخاصة للحكايات الشعبية أنها تطرح المشاكل الوجودية بلغة مختصرة ودقيقة ») [[10]](#footnote-11)(.

5- هي أداة لتسلية الطفل) [[11]](#footnote-12)(.

6- تسهم في تطوير شخصيته وتنميتها) [[12]](#footnote-13)(.

7- تسهم في المعالجة النفسية للأشخاص؛ قال بتلهايم:«... في الطب الهندي التقليدي يرغم الأشخاص المشوهون نفسيا على تأمل الحكاية الشعبية التي تصور في مشاهد مشكلته الخاصة») [[13]](#footnote-14)(.

والدراسة النفسية للحكايات الشعبية تجعلنا نستنتج – في نظره-:

1- أن الحكاية الشعبية تعالج القلق الذي ينتاب الطفل في حياته مثلا: قلق الانفصال عن والديه.

2- أنها تعرض مخاوف الطفل: الخوف من أن يلتهمه أحد مثلا. إلى اللاواقعية ووصفهم بالبليدين وأكد على أن الخيال واللاواقعية هما أهم ما يميز الحكايات الشعبية لأن أهميتها إنما تكمن في مغزاها العميق الذي يخص الحياة النفسية الداخلية للفرد:« الطبيعة اللاواقعية لهذه الحكايات التي يلومها عليها ( العقلانيون البليدون) هي عنصر مهم يبرهن بوضوح أن الحكايات الشعبية ليس هدفا بذل المعلومات المفيدة عن العالم الخارجي بل أن تجعل الفرد واعيا بسيرورته الداخلية») [[14]](#footnote-15)(.

ويؤكد بتلهايم أن الحكاية الشعبية من وجهة نظر نفسية هي حكاية ذات لغة رمزية تنقل مادة لا شعورية وهي تخاطب في وقت واحد الشعور واللاشعور بمظاهرهما الثلاثة: الهو والأنا والأنا الأعلى) [[15]](#footnote-16)(.. فنجاح الحكاية الشعبية يكمن في توحد الطفل مع بطلها:« وليس الانتصار النهائي للفضيلة هو ما يدعم أخلاقية القصة بل كون الطفل أنه يتقاسم معه في كل تجاربه وبفضل هذا التوحد والتماثل يتخيل الطفل أنه يتقاسم معه كل الآلام خلال محنته وأنه يتغلب معه أيضا في اللحظة التي تنتصر فيها الفضيلة على الشر») [[16]](#footnote-17)(.ويرى بتلهايم أن هذا النجاح قد نشأ من سؤال الطفل: من أحب أن أشبه ؟ «... فهو لا يتماثل مع الطيب بسبب الفضيلة ولكن لأن وضعية البطل تجد فيه صدى عميقا، فالطفل لا يسأل نفسه: هل لي رغبة بأن أكون إنسانا طيبا؟ بل: من أحب أن أشبه؟ وهو يقرر اختباره بادئا بإسقاط نفسه على الشخصية بملء إرادته») [[17]](#footnote-18)(. وقد لاحظ بتلهايم أن شخصيات الحكايات الشعبية ذات بعد واحد:« ... فكل شخصية فيها خيرة تماما أو شريرة تماما: أخ أحمق وآخر ذكي، أخت فاضلة ونشيطة والأخريات حقيرات كسولات، واحدة جميلة والأخريات بشعات، أحد الوالدين طيب والآخر شرير») [[18]](#footnote-19)(.

وما يزيد الكتاب أهمية أن بتلهايم اختار أكثر الحكايات عالمية وتداولا لدى الأطفال في العالم أجمع، وقد وقع اختياره على ثلاث حكايات عالمية وتداولا لدى الأطفال في العالم أجمع، وقد وقع اختياره على ثلاث حكايات من ( ألف ليلة وليلة)« الذي قدّم له تفسيرا فريدا إذ اعتبر الملك شهريار تجسيدا لشخصية خاضعة « للهو» بشكل مطلق، في حين أن شهرزاد ( أنا ) يهيمن عليها ( الأنا الأعلى) نتيجة ثقافتها وإطلاعها وعلى هذا الأساس يعتبر كتاب ( ألف ليلة وليلة) في احد أبعاده تصويرا لصراع الأنا الأعلى مع الهو بقصد ترويضها بواسطة الحكايات الشعبية المقدمة لها، فتساهم كل حكاية منها في حل عقدة أو مشكلة في الشخصية، بحيث تنبثق الأنا من جديد وتعود الشخصية إلى توازنها، ولأن الملك شهريار ذات مرت بظروف خطيرة جدا جعل إصابتها فادحة فإنه بحاجة إلى ألق ليلة وليلة أي إلى سلسلة كبيرة من الحكايات كي يشفى فليس الرقم (1001) مقصودا بحد ذاته بل هو دلالة على الكثرة فقط ») [[19]](#footnote-20)(.

**2- أنموذج تطبيقي:**

إليك هذا الأنموذج التطبيقي الذي يوضح كيفية تطبيق منهج يونج على الحكاية الشعبية.

**حكاية " الليمونات الثلاثة":**

« كان لأب وأم ولد واحد، وكان هذا الولد عازفا عن الزواج. وكان كل يوم يخرج للتنزه، غير عابئ بإلحاح الأب والأم عليه في أن يبحث له عن زوجة. وذات يوم خرج ليتنزه كعادته. فقابل عجوزا في الطريق، فأخذ يضايقها، فدعت عليه بعشق الليمونات الثلاث. لم يقر له قرار بل ظل دائم التفكير فيها. وذات يوم ودع أمع وأباه وخرج قاصدا الشيخ الكهل الذي يعرف سر الليمونات الثلاث.

وهناك في طريق موحش قابل هذا الشيخ، وسأله الشيخ عن سبب خروجه إلى ذلك الطريق الموحش، فأجابه بأن يعود إلى بيته، حيث إن طريق الليمونات الثلاث ملئ بالأخطار. ولكن الشاب أبدى له إصراره على خوض غمار هذه الأهوال، ورجاه أن يدله على مكانتها عند ذلك أخذ الشيخ يشرح له معالم الطريق، فأخبره بأنه سيظل سائرا في هذا الطريق ليل نهار حتى يقابل غابة مظلمة، وفي هذه الغابة تكثر الوحوش الكاسرة ، مثل الذئاب والأسود. وهذه الذئاب والأسود تستلقي حول شجرة كبيرة مهولة، هي التي تتدلى منها الليمونات الثلاث. عند ذلك يتحتم عليه أن يلهي هذه الحيوانات بالطعام حتى تنصرف عنه فيتمكن من قطف الليمونات الثلاث. قال له ذلك ثم قدم له حصانًا عجيبا لا يمكن للوحوش أن تدركه. كما أخبره بأنه عندما يشق كل ليمونة ستخرج له منها فتاة رائعة الجمال. وستطلب منه أن يسقيها في الحال. فإن لم يفعل ذلك اختفت.

وسار الشاب في طريقه حتى وصل إلى الغابة. ممتطيا صهوة الحصان العجيب ثم أوغل فيها حتى وصل إلى الشجرة الكبيرة، حيث وجد الليمونات الثلاث تتدلى منها في إغراء. فلما رأى الحيوانات تستلقي حول الشجرة أسرع ورمى بالطعام، فانشغلت به وانصرفت عنه. عند ذاك قطف الليمونات الثلاث وولَّى مسرعا على حصانه، وفي أثناء الطريق جلس ليستريح، وأخذ يشق الليمونة الأولى ناسيا أن في ذلك نصيحة الشيخ. فلما ظهرت له الفتاة الجميلة وطلب الارتواء. ولم يكن لديه ماء. اختفت الفتاة في الحال عند ذاك تذكر نصيحة الشيخ واعد الماء ثم شق الليمونة الثانية. فلما ظهرت له الفتاة الثانية وطلبت الماء قدمه إليها. فأخذت تشرب حتى فرغ الماء. ثم طلبت المزيد منه. ولكنه لم يكن معه من الماء أكثر من ذلك. ولهذا فقد اختفت لفتاة الثانية كذلك. عند ذاك قرر الشاب ألا يشق الليمونة الثالثة قبل وصوله إلى نبع. فلما صادف نبعا شق الليمونة الأخيرة. فظهرت له فتاة لا تقل روعة عن سابقتيها. فلما طلبت الماء أخذ يرويها حتى اكتفت. وبعد ذلك حملها الشاب على فرسه حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من بيته. ولما كانت الفتاة عارية، فقد طلب منها تستقر فوق نخلة حتى يذهب إلى بيته ويحضر لها الملابس. فاستقرت الفتاة فوق الشجرة وأخذت تترقب حضوره. وبعد فترة من الزمن مرت عجوز بجانب الشجرة ولم تكن قد أبصرت الفتاة. فلما نظرت العجوز إلى صفحة ماء النبع رأت صورة رائعة الجمال تنعكس عليها. فتصورت

أنها صورتها، ولهذا فقد عادت سعيدة إلى بيتها، ولكنها ما كادت تنظر في المرآة حتى رأت صورتها القبيحة، فعادت إلى النبع مرة أخرى لتتأكد من الصورة التي رأتها على صفحة المياه، فلما رأتها عادت ثانية إلى بيتها، ولكنها رأت كذلك رأت صورتها القبيحة في المرآة وفي المرة الثانية وصلت العجوز إلى النبع ولكنها رفعت رأسها إلى أعلى الشجرة، فرأت الفتاة الجميلة تجلس فوقها، فأخذت تتحدث إليها وعلمت منها أنها تجلس في انتظار حبيبها.

وفي الحال غرزت العجوز في رأسها دبوسا فتحولت الفتاة إلى طائر. أما هي فقد جلست فوق الشجرة بانتظار الفتى. ولما وصل الشاب ذعر لمنظر العجوز وسألها عن حبيبته. ولكنها أخبرته بأنها هي بعينها حبيبته، وقد كانت مسحورة، والآن عادت إلى شكلها الطبيعي. ولما كان الشاب قد أخبر أهله بأنه قد عاد بعروس، فأعدوا العدة لاستقبالها، فقد عاد بالعجوز على أمل أنها يمكن أن تسترجع صورتها الجميلة.

أما الفتاة المسحورة في شكل طائر، فقد ظلت تطير حتى وصلت إلى بيت حبيبها. وهناك دخت المطبخ حيث كان الطاهي يعد العظام لسيده. وما كاد الطاهي يحمل الطعام حتى طارت فوق رأسه وقلبت الطعام، ثم كررت هذا الفعل مع الطاهي ثلاث مرات عند اضطر الطاهي إلى أن يخبر سيده بما حدث له. فجاء الفتى وظل متربصا بالطائر، حتى استطاع أخيرا أن يمسك به، ثم رأى الدبوس في رأسه فانتزعه، وفي الحال عادت الفتاة إلى شكلها الطبيعي وحكت للأمير ما حدث لها عندما تركها فوق الشجرة ورجع الشاب إلى بيته حيث أمسك بالعجوز وقتلها وتزوج فتاته الجميلة») [[20]](#footnote-21)(.

**التحليل:**

من خلال الكلمات المفاتيح المبينة أعلاه يمكن استخلاص الآتي:

- خروج الفتى كل يوم للتنزه على حصانه يرمز إلى بعده عن الإحساس بالأنا وكأن شيئا لا يشغله في هذه الحياة، وذلك ما يمثل مرحلة اللاوعي.

- حث أبويه له على الزواج يرمز إلى رغبتهما في أن يحقق ذاته الكاملة، وإصراره هو على الرفض يرمز إلى أنه مازال يعيش في مرحلة اللاوعي وعدم الإحساس بضرورة الجمع بين المتناقضات ( الشعور واللاشعور) لتحقيق الذات الكاملة.

- ظهور المرأة العجوز يرمز إلى الجزء الغريب الكامن داخل نفس الفتى، وهو الذي يدفعه إلى الوعي بحياته وبذاته وبما حوله.

- العجوز ترمز إلى النمط الأصلي السلبي للأم الكبرى، وكونها عجوزا ذلك يدل على شذة المكر وسعد الحيلة.

- دعاء العجوز على الفتى بعشق الليمونات الثلاث يرمز إلى انتقال الفتى من مرحلة اللاوعي واللامبالاة إلى مرحلة الانشغال والاهتمام مما يجعله يخرج في رحلة بحث نفسية جادة.

- يحيل الطريق الموحش على المتاهات النفسية اللاشعورية التي يسقط بين مخالبها الفتى قبل أن يصل إلى تحقيق هدفه الذي خرج لأجله.

- الشيخ الكهل يرمز إلى النمط الأصلي الإيجابي للأب، الذي يدفع ابنه نحو الاستقلال ويمهد له طريق ذلك.

- الحصان العجيب يرمز إلى النصيحة النفسية الثمينة التي يجب على الفتى التزامها حتى يوفق في رحلته النفسية ويحقق ذاته الكاملة.

- وجود الليمونات الثلاث معلقة على تلك الصورة يرمز إلى الصور المتشكلة داخل نفس الفتى ( عالمه النفسي الداخلي).

- الغابة والوحوش ( أسود- ذئاب ...) ترمز إلى اللاشعور المظلم الذي يتهم الفتى إن هو لم يحقق ذاته الكاملة.

- الشجرة الضخمة ترمز إلى النمط الأصلي للأم الكبرى، الذي تمتد جذوره في أعماق نفس الفتى وتؤتى ثمارها يانعة ليقطفها الابن يوما ما.

- يحيل الماء على المفتاح النفسي الذي يجب على الفتى امتلاكه حتى يحقق هدفه. وما هو إلا تلك الحكمة الخفية ونور العلم الباطن الذي ينير القلوب فيدفعها قدما نحو تحقيق المطلوب.

- تحيل الليمونات الثلاث على الأسلحة الثلاثة التي على الفتى أن يمتلكها حتى يحقق ذاته الكاملة، وهي الرغبة والإرادة والتفكير، فعندما شق الليمونة الأولى كان يملك الرغبة ولم يكن يملك الإدارة والتفكير لذلك باءت محاولته بالفشل، وفي الثانية كان يملك الرغبة والإرادة ولكن ينقصه التفكير السليم، أما في الثالثة فقد وصل إلى تحقيق هدفه المنشود لأنه امتلك الأسلحة الثلاثة فظهرت له الفتاة.

- عرى الفتاة يرمز إلى الجوهر الداخلي الذي يعيش داخل نفس الفتى.

- عدم مصاحبة الفتاة العارية للفتى يرمز إلى ضرورة الوعي الكامل بقيمة الأشياء قبل امتلاكها.

- ترك الفتى الفتاة وراءه دون أن يغطيها بردائه دليل على تكره هدفه المنشود وراء ظهر، ومن هنا سقوطه في أسر اللاشعور المظلم.

- الحمامة المسحورة المحلقة في الفضاء ترمز إلى روح الفتى الأسيرة المضطربة.

- قتل الفتى الروح الشريرة التي أرادت أن تأسره يرمز إلى وصوله إلى إحداث الانسجام بين الشعور واللاشعور وتخليص روحه من أسر القوى الشيطانية.

- ترمز المراحل النفسية الثلاث التي مرَّ بها الفتى، وهي: ( اللاوعي/ التذبذب بين الوعي واللاوعي/ الوعي)، إلى المراحل النفسية ( النوم/ الحلم/ اليقظة). فالنوم شكل من أشكال اللاوعي، والحلم عالم مليء بالصور والخيالات، في حين تنفتح اليقظة على عالم منير بإشعاع الذات الكاملة المحققة.

1. ) )- برونو بتلهايم، المرجع السابق، ص 14. [↑](#footnote-ref-2)
2. ) )- المرجع نفسه، ص 31. [↑](#footnote-ref-3)
3. ) )- المرجع نفسه، ص 34. [↑](#footnote-ref-4)
4. ) )- المرجع نفسه، ص 70. [↑](#footnote-ref-5)
5. ) )- برونو بتلهايم، المرجع السابق، ص 71. [↑](#footnote-ref-6)
6. ) )- المرجع نفسه، ص 23. [↑](#footnote-ref-7)
7. ) )- المرجع نفسه، ص 23. [↑](#footnote-ref-8)
8. ) )- المرجع نفسه، ص 23. [↑](#footnote-ref-9)
9. ) )- المرجع نفسه، ص 27. [↑](#footnote-ref-10)
10. ) )-المرجع نفسه، ص 27. [↑](#footnote-ref-11)
11. ) )- المرجع نفسه، ص 31. [↑](#footnote-ref-12)
12. ) )-المرجع نفسه، ص 31. [↑](#footnote-ref-13)
13. ) )- المرجع نفسه، ص 45. [↑](#footnote-ref-14)
14. ) )- برونو بتلهايم، المرجع السابق، ص 46. [↑](#footnote-ref-15)
15. ) )- المرجع نفسه، ص 58. [↑](#footnote-ref-16)
16. ) )- المرجع نفسه، ص 28. [↑](#footnote-ref-17)
17. ) )- المرجع نفسه، ص 29. [↑](#footnote-ref-18)
18. ) )- برونو بتلهايم، المرجع السابق، ص 28. [↑](#footnote-ref-19)
19. ) )- المرجع نفسه، ص 16. [↑](#footnote-ref-20)
20. ) )- نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، المرجع السابق، ص (51-52-53). [↑](#footnote-ref-21)